﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الآيةُ الأنتقالُ من أحوال مُعامَلَةِ العَدوِّ في الحَربِ

الآيةُ "انتقالٌ مِن بَيان أحوالِ مُعامَلَةِ العَدوِّ في الحَربِ: مِن وفائِهم بالعَهدِ، وخيانتِهم، وكَيفَ يَحِلُّ المُسلمونَ العَهدَ معَهُم إن خافوا خيانتَهُم، ومُعامَلَتِهُم إذا ظَفِروا بالخائِنينَ، والأمْرِ بالاستِعدادِ لهم إلى بَيان أحكام السِّلمِ إن طَلَبوا السَّلمَ والمُهادَنَةَ، وكَفّوا عَن حالَةِ الحَربِ، فأمَرَ اللّهُ المُسلِمينَ بأن لا يأنفوا مِنَ السَّلمِ، وأن يوافِقوا مَن سَألَهُ منهم"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَنَحُواْ﴾: "الجيمُ والنّونُ والحاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الميلِ والعدوانِ، ويُقال: جَنَحَ إلى كذا؛ أي: مالَ إليه، وسُمّيَ الجناحان جناحَيْن لميلِهما في الشِّقّين، والجُناحُ: الإثمُ، سُمّيَ بذلك لميلِه عن طريقِ الحقِّ"[2].

2) ﴿لِلسَّلۡمِ﴾: "السّينُ واللّامُ والميمُ معظمُ بابِه منَ الصِّحَّةِ والعافيةِ، ويكون فيه ما يَشِذُّ، فمنِ البابِ الأوّلِ: السِّلم وهو الصُّلحُ، وقد يُؤنَّثُ ويُذَكَّرُ، والّذي شَذَّ عنِ الباب: السَّلمُ: الدَّلوُ الّتي لها عُروةٌ واحدةٌ[3]، والمعنى المحوريّ الّذي تدورُ عليه هذه المادّة: صحّةُ جِرمِ الشّيءِ والتئامُ ظاهره في ذاته؛ أي: عدم تصدّعه أو تفرّع غيره منه: كعيدان السَّلَم الموصوفة، وكالحجارةِ العريضةِ الصّلبةِ، وكعظام

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/58.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنح).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلم).

الأصابع كلّ منها ملتئم في ذاته غير متّصل بغيره، وكظاهر حَجَر الحافر المستوى. ومنه: "سَلَمَت الدّلوَ: فرَغْتُ من عملها وأحكمتها"، (أي: هي تامّة سليمة. والدِّلاء كانت تُصنع من جلود تُخرز وتُلأم). ومنه "السُّلَّم: المِرقاة" لأنّه أداةُ الصّعود دون عَطَب. ومنه: "سَلِم (كفرح) سلامةً وسلامًا: بَرِئَ من عيب جسميّ أو معنويّ، فهو سالم وسليم"، فمِنَ السّلامة المادّيّة؛ أي: عدم التّصدّع والعيوب ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [القلم: 43]، ومنَ السّلامة المعنويّة: "السِّلم ضدّ الحرب"؛ لأنّه مسالمةٌ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يستمرُّ خطابُ اللّه تعالى لعباده المؤمنين بأنّ الكفّارَ المحاربين إن مالوا للسّلم، والصّلح، وترك القتال، فأجبهم إلى ما طلبوا مُتوكِّلًا على ربِّك، فإنّ في ذلك فوائدَ كثيرةً. واللّهُ تعالى سميعٌ عليمٌ بما يضمره العبادُ في نفوسهم[2].

دينُ الإسلامِ دينُ السّلامِ، لمن يجنح له، ويتوكّل على اللّه، المحيط بكلّ شيء

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في مطلع الجملة الشّرطيّة:

قوله: ﴿*وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، قد تكون الواو عاطفةً على قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾، ويكون الضّميرُ في (جنحوا) هو للّذين نُبِذَ إليهم على سواء[3]، أو يكون عائدًا على أهل الكتابِ، والأولى طبعًا أن يعودَ إلى جميع الكافرين من مشركين وأهل كتاب، وقد تكون الواو هنا استئنافيّةً.

جمع بين الشّدّة والسّلم، رحمةً ورأفةً

توجيهُ الجملةِ الشّرطيّةِ:

الجملةُ شرطيّةٌ في قوله: ﴿*وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سلم).
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 324 - 325.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، ص: 813.

عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ربطَت جوابَ الشّرط (فاجنح) بفعله (جنحوا)، ورسّخَت تحقّقَ وقوعِ جوابِ الشّرطِ (فاجنح) لتحقّقِ فعلِه (جنحوا)، فهي قويّةٌ في إثبات أثرِها، فتحقّقُ الاستجابة للسّلم والميل إليه مُتوقّفٌ على استعدادهم للجنوح له وسعيهم إليه.

تحقّقُ السّلم، مرهونٌ بسعيهم للجنوح له

علّةُ التّعبير بـ(إنْ) دون (إذا):

التّعبير بـ(إن) دون (إذا) هنا لما فيها من معنى التّشكيكِ وقلّةِ حصولِ فعلِها، وتدلُّ على أنّ الأصلَ معهم هو دوامُ قتالِهم ومناجزتِهم، بخلاف التّصالحِ معهم، فهو في حكمِ القليلِ النّادر.

الأصلُ دوامُ قتالِهم وليس مصالحتَهم

إيثارُ لفظِ الجنوحِ، ووجهُ تعديته وتضمينه:

عبّر عنهم بالميْل، ولم يقُل: إن طلبوا السّلم للتّنبيه على أنّه لا يسعفهم إلى السّلم حتّى يعلم أنّ حالَهم حالُ الرّاغب؛ لأنّهم قد يُظهرون الميْلَ إلى السّلم كيدًا[1].

مالوا لأجل السّلم؛ فصالحوا، وذلك مأمور الله العليّ

وقد يتعدّى الجنوحُ بـ(إلى) و(اللّام)، كما يُفهَمُ من كلام صاحبِ الكشّاف[2]، ويرى غيرُه أنّ الجنوحَ يتعدّى بـ(إلى)؛ لأنّه بمعنى (مال)، فإذا تعدّى باللّام فإنّما يأتي لغرضٍ، وهو هنا للتّنبيه على أنّ ميلَهم إلى السّلم ميلُ حقٍّ؛ أي: لأجله لا لشيءٍ آخر[3]، ويمكن حملُ هذا المعنى على تضمين ﴿جَنَحُواْ﴾ معنى: (صالحوا) لأجل ﴿لِلسَّلۡمِ﴾، أو معنى: رضخوا، فتكون اللّام للتّعليل كما يُفهَمُ من كلامه، ويصبح المرادُ في التّضمين قوّةَ الفعلين؛ أي: مالوا فصالحوا لأجل السّلم.

بلاغةُ المشاكلةِ في التّعبير بالجنوح عن قبول المصالحةِ:

كلمة ﴿لِلسَّلۡمِ﴾ قرأها الجمهورُ بفتح السّين، وقرأها شعبةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/59.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/221.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/59.

بكسرها[1]، والأرجح عند العلماء أنّهما لغتان من لغات العربِ لمعنى واحدٍ، فقد يكونا بمعنى الإسلام أو الصّلح، كما يظهرُ من استعمالاتهما.

الجنوحُ للمسالمة مرتبطٌ بحُجَّةِ منفعتِها للمسلمين

والفاءُ الرّابطةُ في الجواب ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾ قد تكون عاطفةً على جواب مُقدَّرٍ، كأن يكون تقديرُ الكلام: وإن جنحوا للسّلم قَدِّرْ أنت الملائم للمسلمين، فإن رأيت أنّ في مسالمتهم منفعةً للمسلمين فاجنحْ لذلك، والتّعبيرُ عن قبول مصالحتِهم بالجنوح هو من باب المشاكلة[2] (وإن جنحوا فاجنح)، وبين الجنوحين فروقٌ وفروقٌ.

بلاغةُ الاستعارةِ:

الجنوحُ المطلوبُ ما ثبتَ وصُدِقَ فيه

قوله تعالى: ﴿*وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ استعارةٌ؛ إذ شبّه هوى الإنسان إلى الأشياء بميل جرمٍ إلى جرمٍ، "والمرادُ بها: فإن مالوا إلى السّلم ميلَ ثباتٍ عليه، وركونٍ إليه، لا ميل مكرٍ ومخادعةٍ وإدهانٍ ومواربةٍ، فسالِمْهم على هذا الوجه الّذي طلبوا السّلمَ عليه، وأنّث السّياقُ (السّلم)؛ لأنّه بمعنى المسالمة والمخادعة، وما يجري مجرى ذلك"[3].

فائدةُ عطفِ التّوكّل على ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾:

لا جنوحَ من غير التّوكّلِ على الله

قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ معطوفٌ على ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾، وفائدةُ عطفِه أنّهم بحاجةٍ إلى توكيل الأمر، وتفويضه إلى اللّه، إذا نقضوا العهدَ، وعدلوا عنِ الوفاء[4].

بلاغةُ التّشابهِ اللّفظيّ:

الدُّعاءُ إلى السَّلمِ، هو في حالِ قُدرَةِ المُسلِمينَ وخَوفِ العَدوِّ منهم

أفاد الأمرُ في الفعلين ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾ و﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ النّدبَ أو الإباحةَ، وقد

(1) آل نصر، طلائع البشر، ص: 184.

(2) المشاكلة: ذكرُ الشّيءِ بلفظِ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا، كقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: 116]، أو تقديرًا نحو قوله: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 138]، وهو مصدرٌ مُؤَكِّدٌ لفعل: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: 136]، ينظر: القزوينيّ، تلخيص المفتاح، ص: 178 - 179.

(3) جعفر شرف الدّين، الموسوعة القرآنيّة، خصائص السّور: 8/224.

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/154.

جاء في سورة محمّد ﷺ النّهي عن مسالمتهم بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمّد ﷺ: 35]، فيبدو من ظاهر الآيتين في الأنفال ومحمّد وقوعُ التّعارض بين الحكمين، والأمر ليس كذلك، فآية سورة محمّد ﷺ ذكرَت قيدًا جديدًا ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، يقول ابنُ عاشور عند آية سورة محمّد ﷺ: "فَتَحَصَّلَ مِمّا تَقَرَّرَ أنّ الدُّعاءَ إلى السَّلم المَنهيِّ عَنهُ هو طلبُ المسالمةِ مِنَ العَدوِّ في حالِ قُدرَةِ المُسلِمينَ وخَوفِ العَدوِّ منهم، فهو سَلمٌ مُقَيَّدٌ بكَونِ المُسلِمينَ داعينَ له وبِكَونِه عَن وهَنٍ في حالِ قوَّةٍ، قالَ قَتادَةُ: أي لا تَكونوا أوَّلَ الطّائِفَتَينِ ضَرِعَت إلى صاحِبَتِها، فهذا لا يُنافي السَّلمَ المَأذونَ فيه بقَولِه: ﴿*وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]، فإنّه سَلمٌ طَلَبَهُ العَدوُّ، فلَيسَت هذه الآيَةُ ناسِخَةً لآيَةِ الأنفال ولا العَكسَ، ولِكلٍّ حالَةٌ خاصَّةٌ، ومُقَيَّدٌ بكَونِ المُسلِمينَ في حالَةِ قوَّةٍ ومَنَعَةٍ وعِدَّةٍ بحَيثُ يَدعونَ إلى السَّلمِ رَغبَةً في الدَّعَةِ، فإذا كان لِلمُسلِمينَ مَصلَحَةٌ في السَّلمِ أو كان أخَفَّ ضُرًّا عليهم فلهم أن يَبتَدِئوا إذا احتاجوا إلَيهِ، وأن يُجيبوا إلَيهِ إذا دُعوا إلَيهِ"[1].

بلاغةُ التّذييلِ، في نهاية سياق الآية الجليل:

قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لمَ نجنح إلى مسالمتهم، ونتوكّل على الله؟ لأنّه هو السّميع العليم. والتّذييلُ بهذين الاسمين؛ لأنّه سميعٌ لما يقولونه، عليمٌ بما يضمرونه، ونبّه بذلك لزجرهم عن نقضِ الصّلحِ[2].

التّنبيه بغاية زجرهم عن نقض الصّلح

براعةُ التّوكيدِ في جملة الفاصلة:

جاءَت فاصلةُ هذه الآية مرصّعةً بأساليبَ متنوّعةٍ في التّوكيد؛ فأُكِّدَت بـ(إنّ) والجملة الاسميّة، وقُصِرَت بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾،

قصرُ صفاتِ الكمالِ والتّوكّل عليه جلّ في علاه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/131.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/154.

وبتعريف الخبر، يقول ابنُ عاشور: "وطريقُ القَصرِ في قَولِه: هو السَّميعُ العَليمُ أفادَ قَصرَ مَعنَى الكَمالِ في السَّمعِ والعِلمِ؛ أي: فهو سَميعٌ منهم ما لا تَسمَعُ، ويَعلَمُ ما لا تَعلَمُ. وقَصرُ هَذَين الوَصفَينِ بهذا المَعنَى على اللّه تعالى عَقِبَ الأمرِ بالتَّوَكُّل عليه يُفضي إلى الأمرِ بقَصرِ التَّوَكُّلِ عليه لا على غَيرِه. وفي الجَمعِ بَينَ الأمرِ بقَصرِ التَّوَكُّلِ عليه وبينَ الأمرِ بإعدادِ ما استَطاعَ مِنَ القوَّةِ لِلعَدوِّ: دَليلٌ بَيِّنٌ على أنّ التَّوَكُّلَ أمرٌ غَيرُ تَعاطي أسبابِ الأشياءِ، فتَعاطي الأسبابِ فيما هو مِن مَقدورِ النّاس، والتَّوَكُّلُ فيما يَخرُجُ عَن ذلك"[1].

بديعُ المقابلةِ بين مفتتحِ الصّفحةِ وختامِها:

لا حـدَّ يُحيـطُ بصفاته سبحانه

خُتِمَتِ الآيةُ في مَطلعِ الصّفحة بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وخُتِمَتْ هذه الآيةُ الأخيرةُ فيها بالوصفين نفسيهما معرّفين: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ فأطلقَ صفتي السّمع والعلم في الأولى فلا قيدَ، ولا حدَّ، ولا سعةً تحيطُ. وقصرهما عليه ههنا جلّ في علاه، وتباركت أوصافُه. فسبحانَه مِن خالقٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: 11].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّهبة، والجزع، والحذر، والخشية، والخوف، والرّعب، والرّوع، والفرَق، والفزع، والهلع، والوجف، والوجل:

أراد اللـهُ أن يكونَ الكافرون فـي خـوفٍ واضـطـراب، فـلا يـشـعـروا بالطّمأنينةِ

استعملَتِ الآياتُ السّابقةُ لفظةَ (ترهبون) للتّعبير عنِ الخوف الّذي يقعُ على أعداءِ اللّه، واستعملَ القرآنُ الكريمُ ألفاظًا أخرى للتّعبير عن هذا الخوف، وعند التّدقيق في دلالاتها المعجميّة واستعمالاتها السّياقيّة في القرآن الكريم نجد أنّ لكلّ لفظةٍ منها خصوصيتّها الّتي تميزها عمّا تشتركُ به مع غيرها، ومن هذه الألفاظ الّتي استعملَها القرآنُ الكريمُ:

الرّهبة: يقول ابنُ فارس: الرّاءُ والهاءُ والباءُ أصلان: أحدُهما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/59.

يدلُّ على خوفٍ، والآخرُ على دِقّة وخِفّة، فالأوّلُ الرَّهبةُ: تقولُ رهِبتُ الشّيءَ رُهْبًا ورَهَبًا ورَهبَةً، والتَّرهُّبُ: التَّعبُّدُ، والأصلُ الآخرُ الرَّهبُ: النّاقةُ المهزولةُ، والرِّهابُ: الرِّقاقُ منَ النِّصالِ"[1]. واصطلاحًا: "الرَّهبةُ والرُّهبُ: مخافة مع تحرّزٍ واضطرابٍ"[2].

الجزع: هو حزن يصرفُ الإنسانَ عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه، وأصل الجَزَع: قطع الحبلِ من نصفه، يُقال: جَزَعتُهُ فانجَزَعَ، وهو خلافُ الصّبر[3].

الحذر: احترازٌ عن مخيف، يُقال: حَذِرَ حَذَرًا، وحذرته. وحَذارِ؛ أي: احذر[4].

الخشية: خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشَى منه[5].

الخوف: توقّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ، أو معلومةٍ، كما أنّ الرّجاءَ والطّمعَ تَوَقّعُ مَحْبوبٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ، أو معلومةٍ، ويضادُّ الخوفُ الأمنَ، ويُستعمَلُ ذلك في الأمور الدّنيويّة والأخرويّة، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: 57]. والخوفُ منَ اللّه لا يُرادُ به ما يخطر بالبال منَ الرّعب، كاستشعار الخوفِ منَ الأسد، بل إنّما يُرادُ به الكفُّ عنِ المعاصي واختيار الطّاعات؛ ولذلك قيل: لا يعدُّ خائفًا مَن لم يكنْ للذّنوب تاركًا. والتّخويفُ منَ اللّه تعالى: هو الحثُّ على التّحرّز، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [سورة الزّمر: 16][6].

الرّعب: الانقطاعُ منِ امتلاء الخوفِ، يُقال: رَعَبتُهُ فرَعَبَ رُعْبًا، فهو رَعِبٌ. والتِّرعابَةُ: الشّديد الخوف والفزع. وقد جاء هذا اللّفظُ في القرآن في خمسةِ مَواضِع فقط، منها قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151][7].

الرَّوعُ: إصابةُ الرّوع (القلب)، واستُعمِلَ فيما ألقي فيه منَ الفزع، يُقال: رُعتُهُ وروَّعتُهُ، وريعَ فلان: فزع. والأروَعُ: الّذي يروع بحسنه، كأنّه يُفزِع. وقد جاء هذا اللّفظ في القرآن مرّةً واحدةً، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هود: 74]؛ أي: الخوف[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رهب).
(2) الرّاغب، المفردات: (رهب).
(3) الرّاغب، المفردات: (جزع).
(4) الرّاغب، المفردات: (حذر).
(5) الرّاغب، المفردات: (خشى).
(6) الرّاغب، المفردات: (خوف).
(7) الرّاغب، المفردات: (رعب).
(8) الرّاغب، المفردات: (روع).

الفرَق: الفزعُ وتفرُّقُ القلبِ من شدّة الخوف، يُقال: فرِقَ فلان: إذا جزع واشتدّ خوفه. وقد جاء هذا اللّفظ في القرآن مرّةً واحدةً بصيغة الفعل، وذلك قوله سبحانه في وصف المنافقين: ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التّوبة: 56]؛ أي: يخافون أن يُظهِروا ما هم عليه(1).

الفزَع: انقباضٌ ونفارٌ يعتري الإنسان منَ الشّيء المخيف، وهو من جنس الجزع: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: 103]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النّمل: 87](2).

الهلع: أسوأ الجزع والضّجر، وهذا اللّفظ لم يَرِد في القرآن إلّا مرّةً واحدةً فقط، وذلك قوله تعالى: ﴿*إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعارج: 19](3).

الوجف: الاضطراب، وسرعة السّير(4)، يُقال: وجَفَ الشَّيءُ يَجِف وجْفًا: اضطرب. ووجَفَ القلبُ: خفق. ووجفَ فلانٌ: إذا سقط منَ الخوف، فهو واجفٌ. وهذا اللّفظُ بهذا المعنى لم يَرِد في القرآن إلّا مرّةً واحدةً فقط، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النّازعات: 8]، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر: 6] فالمرادُ بـ (الإيجاف) هنا: الإسراعُ في السّير، يُقال: وجفَ الفرسُ يجف وجيفًا وهو: سرعة السّير، وأوجفه صاحبُه: إذا حملَه على السّير.

الوجل: استشعار الخوف، يُقال: وجِلَ يَوْجَلُ وجَلًا: خاف وفزع، فهو وجِلٌ، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر: 52]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60](5).

وقد حاول صاحبُ كتاب الفروق اللّغويّة التّفريقَ بين بعض هذه الألفاظ، وممّا جاء عنده: أولاً: الفرقُ بين الخوفِ والحذرِ والخشيةِ والفزعِ: أنّ الخوفَ توقّعُ الضّررِ المشكوكِ في وقوعه، ومَن تيقّن الضّررَ لم يكن خائفًا له، وكذلك الرّجاءُ لا يكون إلّا مع الشّكّ، ومَن

(1) الرّاغب، المفردات: (فرق).
(2) الرّاغب، المفردات: (فزع).
(3) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: 5/269.
(4) الرّاغب، المفردات: (وجف).
(5) الرّاغب، المفردات: (وجل).

تيقّن النّفعَ لم يكن راجيًا له، والحذرُ توقّي الضّرر سواء كان مظنونًا أومتيقّنًا، والحذرُ يدفعُ الضّررَ، والخوفُ لا يدفعُه[1].

ثانيًا: الفرقُ بين الخوف والخشية: أنّ الخَوفَ يتَعَلَّق بالمكروه وبترك المَكروه، تقول: خفتُ زيدًا كما قالَ تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: 50]، وتقول: خفتُ المَرَض كما قالَ سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرّعد: 21]، والخشيةُ تتَعَلَّقُ بمنزل المَكروه، ولا يُسمَّى الخَوفُ من نفس المَكروه خشيَةً، ولهذا قالَ: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرّعد: 21]، فإن قيل أَليسَ قد قالَ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: 94]، قُلْنا: إنّهُ خشي القَول المُؤَدّي إلى الفرقَة والمؤدّي إلى الشَّيء بمَنزِلَة مَن يَفعَله، وقال بعضُ العلماءِ: يُقال: خشيت زيدًا ولا يُقال: خشيت ذهابَ زيدٍ، فإنْ قيل ذَلِك فلَيسَ على الأصل، ولكِن على وضعِ الخشية مَكان الخَوف، وقد يوضَعُ الشَّيءُ مَكانَ الشَّيءِ إذا قَرُبَ مِنه[2].

ثالثًا: الفرقُ بَين الخَوف والرّهبة: أنّ الرّهبةَ طولُ الخَوف واستمرارُه، ومن ثمَّ قيل للرّاهب راهِبٌ؛ لأنّهُ يديمُ الخوفَ، والرّهبةُ خوفٌ يقعُ على شريطة لا مَخافَة، والشّاهِدُ أنّ نقيضَها الرَّغبَةُ؛ وهي السَّلامَةُ منَ المخاوف معَ حُصول فائِدَة، والخَوفُ معَ الشَّكِّ بوُقوع الضّرر، والرّهبةُ معَ العلم به يَقعُ على شريطة كَذا، وإن لم تكنِ الشّريطةُ لم تقع[3].

رابعًا: الفرقُ بَين الخَوفِ والهلعِ والفزعِ: أنّ الفَزعَ مفاجأةُ الخَوف عِند هجوم غارة أو صَوت هدّة وما أشبه ذَلِك، وهو انزعاجُ القلب بتوقّعِ مَكروهٍ عاجلٍ، وتقول: فزعتُ مِنه فتعديه بمن، وخِفته فتعديه بنَفسِه، فمَعنى خفته؛ أي: هو نَفسه خوفي، ومعنى فزعتُ مِنه؛ أي: هو ابتِداء فزعي؛ لأنّ مِن لابتداء الغاية، وأمّا الهَلَع فهو أسوَأُ الجزع[4].

خامسًا: الفرقُ بَين الخَوف والوجل: أنّ الوَجَلَ خلافُ الطّمأنينةِ، وجل الرّجلُ يوجلُ وجلًا إذا قلق ولم يطمئن، ويُقال: أنا مِن هذا على وجلٍ، ومن ذَلِك على طمأنينةٍ، ولا يُقال على خوفٍ في هذا المَوضِع، وفي القُرآن: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: إذا ذُكِرَت عَظمَةُ اللّه وقدرتُه لم تَطمئِنَ قُلوبُهم إلى ما قدّموه منَ الطّاعَة، وظنّوا أنّهم

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 270.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 270.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 271.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 272.

مقصِّرون، فاضّطربوا من ذَلِك، وقلقوا، فلَيسَ الوجلُ منَ الخَوفِ في شَيءٍ[1].

ويظهرُ من خلال هذه الفروق؛ أنّ استعمالَ ﴿تُرْهِبُونَ﴾ في الآية السّابقة إنّما كان لخصوصيّة هذه اللّفظةِ، وما تحملُه من دلالاتٍ، فقد أراد اللّهُ تعالَت حكمتُه أن يكون ثمرةُ الإعداد للكافرين هو خوفٌ دائمٌ فيه اضطرابٌ وقلقٌ يلازمهم، ولا يتركهم لحظةً واحدةً ليشعروا بالطّمأنينةِ أو السّكون.

(جنحوا)، و(مالوا)، و(دَعَوْا):

إيـثـار لفظة (جـنـحـوا)، تـعـريـضٌ بالكافرين بأنّهم سـيـبـقـون في موضع تهمةٍ

استعملَتِ الآيةُ لفظةَ ﴿جَنَحُواْ﴾ في قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ دون غيرها منَ الألفاظ كـ(الميل)، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النّساء: 129]، أو (دعوا) كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد ﷺ: 35].

وبعدَ التّتبّع للمعنى المحوريّ لمادّة (جنح) نجدُ أنّها تدورُ حول: امتدادٍ، أو اندفاعٍ منَ الجوانب قويّ أو حادّ، كالجَناح من جسم الطّائر: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 38]، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: 1]، وكشفرتي النّصلِ من جرمه، والعَضُد من جانب الصّدر، وكأوائل الضّلوع من مصدرها. ومنه: جِنْحُ الطّريق - بالكسر - جانبه. وجِنْح القوم: ناحيتهم. وجَنَحتِ السّفينةُ جُنوحًا: انتهَت إلى الماءِ القليلِ فلزِقَتْ بالأرض فلم تمضِ، "(انحرفَت إلى الماءِ الضّحلِ، وهو يكون في جوانب المَجرَى). ومن ذلك "الجُناح: الجناية والجُرمُ: (انحرافٌ عنِ الجادة المستقيمة إلى الجوانب)، وكذلك الإثمُ والذّنبُ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158][2].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 273.

(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جنح).

وعلى هذا نجدُ أنّ مادّةَ (جنح) تحملُ في طيّاتها معاني الجنايةِ والجرمِ والإثمِ، واختيارُها هنا دون غيرها مُشعِرٌ بأنّ ميلَهم هذا إلى السّلم هو تُهمةٌ أوّلًا في نظرهم؛ لأنّه يُعَدُّ تنازلًا عن كبريائهم وغطرستهم، وهم في جنوحهم للسّلم سيبقون في موضع تهمةٍ وشكٍّ وجرمٍ بالنّسبة للمؤمنين، وفي هذا تحذيرٌ للمؤمنين بأن يأخذوا حذرَهم منهم خشيةَ أن ينقضوا عهدَ المصالحة معهم، فلا تصلحُ كلمةُ (مالوا) أو (طلبوا) أن تسدَّ مسدَّ هذه اللّفظة في هذا الموضع.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 16 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-12-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 16 : المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-12-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»